قراءة في ديوان
«أشجار الشارع أخواتي»
للشاعر / أحمد فضل شبلول

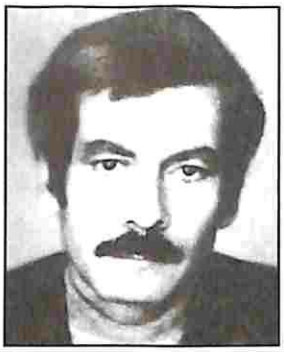

بقلم / أحمد محمود مبارك
مصر

في سلسلة أدب الأطفال التي تصدرها رابطة الأدب الإسلامي العالمية «مكتب البلاد العربية» . صدرت الطبعة الأولى لديوان « أشجار الشارع أخواتي» عام ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، من تأليف الشاعر أحمد فضل شبلول.

ويعد ديوان « أشجار الشارع أخواتي» هو الكتاب الأول للمؤلف في أدب الطفل، والخامس في السلسلة التي أصدرتها الرابطة.. وهو يضم سبع قصائد طويلة لا تعتمد في غالبيتها – من حيث البناء الفني – على هيكل الأنشودة، وإنما تتجه نحو عنوان البناء القصصي الدرامي .. أو «الحكي». ولعل المؤلف قد رأى أن هذا البناء أكثر جذبا لاهتمام الطفل العربي الذي يؤثر الحكاية والحوار المعتمد على الخيال .. وبخاصة حين يكون ذلك من خلال معالجة شعرية «مموسقة» وإن لم تكن بصورة نشيد .. كما يعتمد المؤلف في بنائه الفني للقصائد على التصوير الشفيف والمجاز، الأمر الذي يحرك في الطفل المتلقي ملكة التأمل ويشحذ خياله، ويعمق تفاعله مع مضمون القصيدة .. ليصل إليه مغزى القصائد ومضامينها الإسلامية .. بطريق غير مباشر ولكنه شديد التأثير في الفكر والوجدان .

في القصيدة الأولى من قصائد الديوان وهي بعنوان « أشجار الشارع أخواتي» يتبدى المنطلق الإسلامي في حث الطفل على الاهتمام بالأشجار كنعمة من نعم الله مبينا فوائدها للإنسان ولسائر المخلوقات وأهميتها للبيئة، ويدفع الطفل إلى التأمل فيها باعتبارها آية من آيات قدرة المولى عزّ وجل :

أشجار الشارع أخواتي
تبسم في الطرقاتِ
تمنحني اللون الأخضرْ
وأشم هواها الأعطرْ
تحميني بسياج مزهرْ
تعطيني مما أعطاها الله..

.. ويقبس الشاعر من معاني القرآن الكريم ما يزيد القصيدة ألقا وتأثيرا وتوجيها – غير مباشر – للطفل ليربطه بكتاب الرحمن .. إذ يقول الشاعر تأثرا بقوله تعالى في سورة الرحمن ﴿ والنجم والشجر يسجدان ﴾:

أشجار الشارع أخواتي تسجد للرحمنْ
تحيا وتموت كما الإنسانْ

... ويثري الشاعر في فقرة أخرى معلومات الطفل الدينية ويحثه على البحث الديني الذي يتفق مع سنه .. والذي يربطه بكتاب الله عز وجل . . وذاك غرض من أغراض الأدب الموجه للطفل، حرص عليه الشاعر .. إذ يقول :

عشرون وسبعٌ من الكلماتْ
وردتْ ألفاظ الشجراتْ
في القرآن

وحرصا على أن تتوطد العلاقة بين الطفل «المتلقي» وكتاب ربه الحكيم .. وتاريخ الإسلام الحنيف، يشير الشاعر .. إلى بيعة المسلمين الأوائل للرسول عليه الصلاة والسلام تحت الشجرة.. إذ يقول في إحدى فقرات القصيدة:

تم مبايعة الإسلامْ
ورسول الله محمدْ
صلى الله عليه وسلمْ
تحت الأغصان المشجرةْ
في تلك الشجرةْ

وفي قصيدة بعنوان «أحجار البيت تناديني » يستهلها بقوله:

أحجار البيت تناديني
كي تروي قصتها لي
كي تحكي كل الأسرارْ
عن عائلة الأشجارْ

... نلاحظ أن الشاعر يتكئ على أسلوب «التشخيص» ليجذب خيال الطفل المتلقي، ويبعث قدرا من الدهشة المحببة التي تزيد من انتباهه وتعمق تفاعله.. فيخاطب الحجر الطفل قائلا:

أحيانا يتفجر مني نهرُ
أحيانا يدفعني الفخرُ
أتذكر أحجار السجيلْ
في عام الفيلْ
أشعر بالزهو وبالنصرِ..

... ثم يأخذ فخرُ الأحجار بعدا آخرا معاصرا فهي سلاح الأطفال على أرض فلسطين المغتصبة، ذاك السلاح الذي حير الصهاينة المغتصبين، وأودى بأمنهم، وكبدهم خسائر فادحة، تزهو الأحجار – في هذه القصيدة وتقول بعزة :

سل أحجار فلسطينْ
سل أشجار الزيتونْ
سل أطفال النصر هناكْ
هم يمشون على الأشواكْ

... ثم يعود الشاعر ليربط الطفل «المتلقي» بالقرآن الكريم:

كان كليم الله المختارْ

■ الشاعر أحمد فضل شبلول حرص من خلال ديوانه على تثقيف الطفل دينيا وتوطيد العلاقة بينه وبين القرآن الكريم.

موسى ..
يضرب بعصاه الأحجارْ
فانفجرت عينان من الماءْ
ثم انفجرت عشرٌ بالخير وبالأضواءْ

.... كما يربط الشاعر الطفل المتلقي بتاريخه الإسلامي والسيرة النبوية العطرة حيث يقول:

كان رسول الله محمدْ
صلى الله عليه وسلم
يحكم بين قريشٍ
فيمن يحمل هذا الحجر الأسودْ
واستمع الناس إلى الرأي الأصوبْ
واشترك السادة في رفع الحجر الأسعدْ..

... وتزهو الأحجار بأن الحجيج يرجمون بها إبليس وهم يؤدون فريضة الحج ..

في أيام الحجْ
يُرجم إبليسٌ بالأحجارْ
يرجم هذا الشيطانْ
ويعود الناس بمغفرة وأمانْ

وفي قصيدة جميلة بعنوان « الباب» تعد في نظرنا أفضل قصيدة بالديوان .. يرتفع المستوى الفني للأداء الشعري مع الاحتفاظ بالبساطة واليسر وشفافية التعبير التصويري .. وتلتحم المعاني والقيم التربوية والسلوكية المنبثقة من مبادئ الإسلام الحنيف، مع النسيج التخيلي والمجازي للقصيدة بشكل جيد ومؤثر.. إذ يقول الشاعر:

أدخلُ من هذا البابْ
اخرج من ذاك البابْ
افتح بابي للأصحاب وللأحبابْ
أغلقه في وجه الإنسان الكذابْ

افتحه للأحلام وللآمال وللألبابْ
أغلقه في وجه اليأس ووجه الخوف ووجه المرتابْ..

... ثم يعمد الشاعر إلى إثراء القصيدة بما يفيد الطفل علميا وينمي ثقافته حين يضمنها قوله:

في الجغرافيا يوجد باب المندبْ
والبابْ
بلد في سوريّا
والبيبانْ
سلسلة جبال في الأطلسْ
والأبوابْ
كانت في الأسوار قديما في البلدانْ
أستذكر كل دروسي، وأقسم أبوابَ كتابي
لفصولٍ ونقاطٍ .. لسؤال وجوابْ

... ويثري البعد الديني فقرات هذه القصيدة أيضا مما يؤكد على أصالة المنهج الإسلامي لهذا الديوان .. يقول الشاعر:

في الكعبة يوجد بابْ
في الحرمين مداخل أوأبوابْ
هيّا ندخلْ مدخلَ صدقٍ

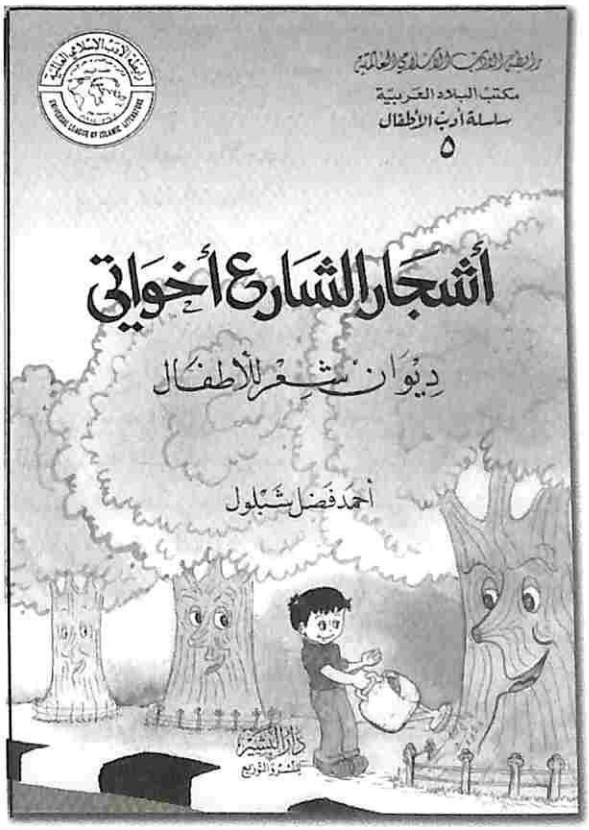

■ البناء الفني للقصائد يعتمد على السهولة والعمق في آن ويناسب إدراك الأطفال وفهمهم للصورة البلاغية والتراكيب اللغوية.

هيّا نفتح للقرآن كتابْ
يا فتّاح .. يا رزاق .. يا الله
يا فاتح أبوابِ الرزقِ
يا فاتح أبواب الجنةْ
أدخلنا من أبواب الجنة

وفي أنشودة جميلة بعنوان «المآذن» نلمح تنوعا في البناء الفني يغاير القصائد السابق تناولها .. ففي القصائد السابقة لم يرتكز الشاعر على الغنائية أو نهج النشيد، وإنما ارتكز على أسلوب«الحكي» أو القصص الدرامي .. وارتبط هذا بنسق موسيقي تفعيلي للقصائد.. حيث لم يلجأ إلى النسق العمودي.. وإنما لجأ إلى النسق السطري غير المتحد في عدد التفعيلات الموسيقية .. والذي لا تنتظم فيه القافية وربما تغيب .. غير أنه في هذه القصيدة «المآذن» ارتكز على البناء الغنائي العمودي ذي القوافي المنظمة وإن جاءت متنوعة غير موحدة .. كما اعتمد على موسيقى بحر «الرجز» في نسقها المجزوء .. كرابط إيقاعي بين أبيات القصيدة .. وكمنهجه في كل القصائد . نجد الشاعر يستقي أفكاره من منبع إسلامي يفيض بالطهر والنقاء.. يقول في هذه القصيدة :

مآذن المساجدْ مضيئةٌ تشاهدْ
صلاتنا جماعةْ
وتسمع القرآنْ وترفع الأذانْ
بالحب والضراعةْ

... ولا تفتقر هذه القصيدة – أيضا – إلى النهج التصويري الفني الشفيف الذي يجذب مشاعر الطفل «المتلقي »، ويستثير خياله الأمر الذي يحدث تأثيرا إيجابيا محققا – بغير مباشرة – الهدف

السامي لهذه القصيدة وهو حث الطفل على الصلاة، وربطه وجدانيا وعاطفيا بكل ما يرتبط بهذه الفريضة السامية .. فيقول الشاعر في إحدى فقرات القصيدة:

مآذن المساجدْ تهامس السحابْ
تلاطف الضبابْ وتفتح الأبوابْ
فيعبر الدعاءْ بوابة السماءْ
تصادق الشموسْ في رحلة الإشراقْ
فتشرق النفوسْ بالحب والأشواقْ

وفي قصيدة بعنوان « كتابي نهر معلومات» يلفت الشاعر انتباه الطفل إلى أهمية الكتاب وجدوى القراءة، وضرورة العلم كوسيلة للارتقاء بالأفراد والمجتمعات .. لكن هذا المغزى الذي ترتكز عليه القصيدة لا يجيء مباشرا عن طريق التقرير والنصح المجرد .. وإنما يلجأ الشاعر - كمنهجه في هذا الديوان إلى بث هدف القصيدة بطريقة غير مباشرة .. إذ يتضافر المغزى مع البناء الفني التخييلي الجذاب ليتسلل إلى وجدان الطفل وعقله بهدوء ورسوخ وإقناع، وبمنأى عن النصح المجرد يبدأ الشاعر هذه القصيدة بقوله:

كتابي نهر معلوماتْ به سوَرٌ به آياتْ
به أرقامْ وموضوعاتْ
به أحلامْ ومكنوناتْ
عن الماضي، عن الحاضرْ عن المستقبل الزاهرْ

... ثم بعد هذا الاستهلال الجذاب تتطرق القصيدة إلى ما تتضمنه الكتب من علوم مفيدة للإنسان في حياته .. وللأمم في نهضتها .. ثم يتجلى المنحى الديني للقصيدة بعفوية وجاذبية حيث يقول الشاعر:

كتابي نهر معلوماتْ به قصص به جناتْ
كتاب الله نحفظهُ فيحفظنا من الزللِ
كتاب الله نحفظهُ ونودعه هنا في القلبْ
حروفا من عطايا الربْ علوما في سماء اللبْ

وبعد فتلك إطلالة وجيزة على هذا الديوان الجيد . لعلنا من خلالها - نكون قد كشفنا عن أهم ملامحه الفنية ومضامينه ذات المنطلق الإسلامي السامي .. ونرى أنه من الواجب علينا أن نشد على يد الشاعر أحمد فضل شبلول مؤيدين اتجاهه للكتابة الإسلامية للطفل . وأيضا أن نزجي الشكر لرابطة الأدب الإسلامي العالمية لاهتمامها بإصدار هذا الديوان وغيره من الكتب التي أصدرتها - وستصدرها بإذن الله- في سلسلة أدبية خصصتها لأدب الطفل ..■

باقة ياسمين

مجموعة قصصية من الأدب التركي

تأليف علي نار - ترجمة شمس الدين درمش

هذه المجموعة القصصية هي الكتاب السابع في سلسلة أدب الأطفال التي تصدر عن مكتب البلاد العربية لرابطة الأدب الإسلامي العالمية ، وهو الأول في أدب الأطفال المترجم.

يضم الكتاب القصص الآتية: الله الخالق، الهجرة الكبرى، بطال (البطل المجاهد)، نصر الدين خوجه (جحا)، المنزل الجديد، في الغابة، بابا صنبور

وهي تعلم الأطفال الإيمان بالله سبحانه ، وتأمل قدرته في المخلوقات ، والإيمان بالرسل، وأركان الإسلام، كما تقدم لهم صورة من بطولة مجاهد وحكاية طريفة من (جحا) وقصصا عن الحيوانات يتعلم الطفل منها التعاون، وعدم الإيذاء ، والنظافة. سيصدر الكتاب قريبا عن مكتبة العبيكان بالرياض في طبعته الأولى